التجليات النصية لقراءة نقد النقد
في الموروث النقدي العربي

Textual manifestations to read critical criticism
In the Arab monetary heritage

د: بلخير دوالي*

تاريخ الإرسال: 11/ 02 /2020	تاريخ القبول: 2020/09/16	تاريخ النشر: 2020/12/30

الملخص

جاءت هذه القراءة سعيا للإحاطة قدر الإمكان بإستراتيجية نقد النقد التطبيقي ومراميه في الموروث النقدي العربي القديم، فكان الجهد المعرفي منصبا حول تتبع إرهاصات وملامح هذا الخطاب الفكري من خلال تأمل المنجز النقدي التراثي العربي القديم كشفا لملامح طبيعة قراءته بصيغتها التراثية، ومنه ملاحقة عدد من قضاياها الفكرية والمنهجية التي تكشف الحضور المعرفي لمنهج نقد النقد الأدبي في التراث النقدي من حيث دلالته المفهومية وطبيعة المعطيات النقدية المشكلة له .

ولتحقيق هذا المبتغى العلمي فإن هذه الدراسة تتضمن إشكالية معرفية قائمة على معاينة التجليات النصية التطبيقية لمنهج نقد النقد وفق صيغته التراثية في الخطاب النقدي العربي القديم، وهي الإشكالية التي وجدت صداها في عدد من النماذج النقدية التي تكشف أن هذا الخطاب النقدي لم يكن جديدا في الخطاب النقدي العربي المعاصر إلا بإطلاقه الاصطلاحي، لأن المسلك التاريخي يكشف أن الموروث النقدي العربي القديم يتضمن ملامحه وتجلياته بصيغته الفكرية القديمة .

الكلمات المفتاحية: التجليات النصية، القراءة ،منهج نقد النقد، التراث النقدي العربي.

abstract

This reading came in an attempt to take as far as possible the strategy of applied criticism and its goals in the ancient Arab monetary heritage. The cognitive effort was focused on tracing the precursors and features of this intellectual discourse through the contemplation of the ancient Arab monetary heritage. And the methodology that

* كلية الآداب واللغات بجامعة يحي فارس بالمدية douali_b@yahoo.fr

reveals the cognitive presence of the method of criticism of literary criticism in the critical heritage in terms of conceptual significance and the nature of the critical data formed for it.
To achieve this scientific objective, this study includes a cognitive problem based on a preview of the applied textual manifestations of the method of criticism of criticism according to its traditional form in the old Arab critical discourse. The contemporary Arab world, however, only by its idiomatic release, because the historical course reveals that the old Arab monetary heritage includes its features and manifestations in its old intellectual form.
***Keywords**: Textual Transfiguration, Reading, Critique of Criticism, Arab Monetary Heritage*

*** *** ***

1 ـ مدخل منهجي:

يعد نقد النقد رافدا نقديا ومجالا معرفيا أساسيا من روافد الحركة النقدية المعاصرة هدفه الأساس إدراك منظومة النقد الأدبي والتفكير في نشاطه ومن ثمة الخوض في قضايا المنهج والمفاهيم والمصطلحات والخلفيات المعرفية، الأمر الذي جعله يكتسب مكانة معرفية هامة في مقاربة الخطاب النقدي على ضوء تطورات وانجازات لا يستهان بها تحت رهان القراءة وإعادة القراءة التي سادت بشكل خاص مع طغيان فكر ما بعد الحداثة في سبعينيات القرن الماضي، وهو التصور المعرفي الذي وجد صداه في الانقلاب الفكري المتعلق بماهية التفكير النقدي والتساؤل المعرفي حول استراتيجياته ومرجعياته ومنهجه، تساوقا مع ما صنعته فرضية انفتاح النص الأدبي ومنحى تفكيكه في سياق تفعيل التأويلية الأدبية من خلال أفعال " التفسير والتأويل مع الحرص على تأطير النصوص النقدية ضمن رؤية التعدد والاختلاف " [1]، وهي الرؤية التي أسهمت في توسيع أفق القراءة وتعدد التأويلات بناء على اختيارات القارئ الناقد وقدرته على التحليل والتفسير وفق المسار التاريخي للقراءة وسياقها وظروفها.

إن النظر إلى نقد النقد كخطاب نقدي تحليلي تفكيكي جعلته يثير إشكالات فكرية تكشف عن صيرورة النقد الأدبي وتحولاته وطبيعة إجراءاته ولغته، وجعلته أيضا يشير إلى

مسلك نقدي ينظر إليه كصورة تعبر عن تعدد أصوات النقد الأدبي واتساع دائرة مساءلة القراءة في حد ذاتها. وهي صورة فرضتها طبيعة النقد ومنعطفاته الفكرية والمنهجية، الأمر الذي جعل " معرفة فلسفة النقد وآلياته ومقاصده مشغل نقد النقد ومحوره" [2] ، وهو المشغل المعرفي الذي فرض على مسارات الفكر النقدي المعاصر تأسيس المجال المعرفي لهذا الخطاب النقدي من خلال مبحث مخصوص مستقل عن النقد الأدبي. وظيفته الأساس تتبع خصوصية المنجز النقدي وتحليله والتساؤل حول استراتيجياته ومرجعياته، وهو ما يتحقق بالسعي لتطوير ممارسة النقد الأدبي عن طريق استغلال أدواته ومساءلة إنجازه والوعي بموضوعه في إطار الخلفية الفكرية التي يستند إليها في قراءة النص الأدبي وكشف مضمراته الفنية، إذ تتحدد الوضعية المعرفية لنقد النقد حينما نجده يصوغ لغة نقدية واصفة ممتلكة " للأسس نظرية ومنهجية واصطلاحية يقوى بها على نسج أنساقه ووضع سننه الخاصة " [3] تأسيسا لهذا الكيان النقدي الذي فتح أفاقا معرفية جديدة في الدراسات النقدية المعاصرة.

إن حداثة خطاب نقد النقد الأدبي مصطلحا ومفهوما ومنهجا جعلته من المصطلحات الأكثر إثارة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، إذ اختلفت حول قضاياه تصورات النقاد والدارسين بسبب تنوع وجهات نظرهم وتعدد خلفياتهم المعرفية، فأثير حول قضاياه نقاش علمي مستفيض، فقد حدد مفهومه عدد من النقاد والباحثين في التجربة النقدية المعاصرة، لكن رؤاهم المعرفية اتسمت في الغالب بالتنوع والإيجاز وعدم الوضوح المفهومي والمصطلحي، ومرد ذلك وقوع هذه التعريفات تحت تأثير حداثة هذا المجال الفكري في الحقل النقدي المعاصر وانعكاسه على عدم امتلاكه لأسس منهجية واصطلاحية وأدوات إجرائية في راسخة في الممارسة النقدية. الحديثة والمعاصرة، فمنهم من يراه " تعبيرا عن مآخذ النقاد المنهجية"[4]، وهي الرؤية التي شاع استعمالها في عدد كبير من التصورات النقدية الحديثة والمعاصرة، إذ قلما نجده يتسامى إلى البحث في أصول المعرفة النقدية على نحو منهجي عميق، كما فهم في بعض مسارات تحديد ماهيته بصيغته الانطباعية

الذاتية التي جعلته نقدا يسعى " لاستهجان النقد والإنقاص من قيمته ومعارضته " [5] ، بينما حدده البعض الآخر بحسب طبيعة ممارسته النقدية وسماتها التي تتغير باختلاف المعطى النقدي الذي يتم التركيز عليه وفق مسلك تحليل تتعدد اتجاهاته من قراءة " النصوص النقدية إلى النظريات النقدية إلى تقييم تجربة نقدية لناقد محدد "[6].

وفي مستوى تعريفي أقرب إلى تحديد مفهومه وفق رؤية نقدية تجديدية سعت لتجاوز التصور التقليدي القائم بالأساس على الحكم القيمي الانفعالي المتضمن لفكر الانتقاد والمفاضلة مثلما شاع في الموروث النقدي القديم، فقد نظر إلى نقد النقد باعتباره خطابا نقديا هدفه تحليل « الكتب النقدية وبيان منهجها النقدي وتقويم مسارها النظري والتطبيقي »[7] وهو الوعي المفهومي الذي يكرس طبيعة قراءة نقد النقد كقراءة تبدأ من تحديد أهدافها ومتنها وتتبع مدى احترام الناقد لمنطلقاته النظرية، من خلال تبني تصور منهجي وصفي تحليلي مرتبط بالبعد الابستيمولوجي وذلك لكشف الاستراتيجيات التحليلية للمتن النقدي مصطلحا ومفهوما ومنهجا وآليات إجرائية وتأصيلا معرفيا لخلفية الخطاب النقدي.

سعى المشتغلون بحقل نقد النقد الأدبي في المنجز النقدي المعاصر إلى تمثل مفهومه ومصطلحه ومنهجه في نطاق يبدو من أول وهلة غير محسوم لكنه يكرس في جوهره أسسا علمية ومنهجية واضحة تحدد رؤيته وطبيعة قراءته المخصوصة مثل ما نجد ملامحه في المنظور المفاهيمي والمنهجي للناقد جابر عصفور الذي يرى أن نقد النقد الأدبي نشاط معرفي ينصرف إلى مراجعة الأقوال النقدية كاشفا " سلامة مبادئها النظرية، وأدواتها التحليلية وإجراءاتها التفسيرية " [8]، من منطلق أن هذا الكيان المعرفي لا يستطيع أن يتجنب الإطار النظري والخلفية المعرفية والمفاهيم والمصطلحات والمنهج والانسجام بين التنظير والتطبيق في للخطاب النقدي، بحكم أن نقد النقد الأدبي امتلك طبيعته الابستيمولوجية ومنهجية التحليلية الواصفة من خلال البحث في " مبادئ النقد ولغته الاصطلاحية وآلياته الإجرائية " [9].

لقد ساهم التقاطع المعرفي الكبير وطبيعة اللغة الواصفة بين مجالي النقد الأدبي ونقد النقد في طرح التساؤل الفكري الذي يحدد مفهوم نقد النقد وحصر حدوده وفك الالتباس الحاصل بينه وبين النقد الأدبي الذي توسعت مساحة معاينته وتحليله ليكون محط اهتمام قراءة نقد النقد باعتبارها " حفرا في كيان النص النقدي " [10]، وهي القراءة التي ساهمت في تكريس وعي فكري ينظر إلى نقد النقد الأدبي باعتباره خطابا نقديا واصفا للنقد الأدبي متأملا لمدار اشتغاله الأمر الذي يجعل وجوده كخطاب تحليلي مرهون بوجود النقد الأدبي وهو ما يفرض معرفيا ضرورة التفريق العلمي بينهما باعتبارهما خطابين نقديين مختلفين بالرغم من تقاطعهما في عدد من القضايا والمفاهيم . انسجاما في ذلك مع طبيعة الانعطافات الفكرية الكبرى التي كرست فكرة إعادة القراءة والشك في المنجز الفكري والنقدي، وهو ما وجد صداه معرفيا مع قراءة نقد النقد التي سعت قدر المستطاع تأمل المنجز النقدي وإعادة قراءته مواكبة لمسار تطوره المتسارع خاصة في المنجز النقدي المعاصر، وتأثرا بفلسفة ما بعد الحداثة وتداعياتها التفكيكية المشككة في الفكر الإنساني بشكل عام.

تعد طبيعة موضوع كل منهما من الدعائم المعرفية التي ميزت طبيعة قراءتهما، إذ يركز النقد الأدبي على الإبداعات الأدبية، بينما يعنى نقد النقد بالمتون النقدية" فموضوع النقد الأدبي هو دراسة الأعمال الأدبية، أما موضوع نقد النقد فيتضمن دراسة النقد الأدبي " [11]، وهو ما ينسجم ابستيمولوجيا مع فكرة أنه لكل علم أو فرع معرفي موضوع يختص بدراسته وهو الذي ينطبق على هذين المجالين الفكريين فلكل منهما موضوعه المخصوص، فناقد الأدب يبحث عن الجمالية التي تتأتى من الفنية ،أما ناقد النقد فدوافعه معرفية تتجلى في البحث في المستوى الابستيمولوجي للخطاب النقدي، لكن مع ذلك فاشتغال نقد النقد بالنقد الأدبي وقيامهما على منظومات منهجية واصطلاحية مشتركة لم يمنع من تأسيس قراءة مخصوصة بنقد النقد تقع على بعد مسافة نظرية وإجرائية من النقد الأدبي تخول لها معاينته ومراجعته وتصحيح مساره تكريسا لفكرة أن التساؤل العلمي عن النقد

الأدبي أمر ضروري لفهم نقد النقد ومقاصده، وهو ما يسنده معرفيا عدم " التماهي بينهما لا في الموضوع ولا في الأسس ولا في الأدوات الإجرائية والمنهجية[12].

2 ـ التجليات النصية لمنهج نقد النقد في التراث النقدي العربي:

إن الحديث عن التجليات النصية لمنهج نقد النقد في التراث الإنساني القديم بشكل عام يرتبط أساسا بالبحث عن إرهاصاته النصية في المتون النقدية والفكرية التي تتضمن ملامحه وتصوراته بشكله التقليدي، من منطلق أن الحديث عنه باعتباره تصورا نقديا قائما بذاته مخصوصا برؤيته المنهجية والمفاهيمية المرتبطة بالبعد الابستيمولوجي، لم يتبلور معرفيا إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين مع الدراسات النقدية المعاصرة التي كرست وجوده واستقلاله المعرفي عن باقي المجالات المعرفية والنقدية الأخرى، فبالرغم من أن هذا النشاط النقدي قديم في الممارسة الفكرية الإنسانية، إلا أن الانقلابات الفكرية الحاصلة في المنجز النقدي الحديث والمعاصر خاصة مع طغيان فكر ما بعد الحداثة هي التي سعت إلى الارتقاء به إلى درجة الكيان المعرفي النوعي ضمن كيانات التنظيرات المعرفية والممارسات النقدية، فلم يكتب لهذا المجال الفكري تجاوز دائرة الإرهاصات الذهنية ليمتلك بنية اصطلاحية ومفهومية ومنهجية إلا ضمن المنجز النقدي المعاصر، عندما شهد النقد الأدبي تحولات نقدية هامة في القرن العشرين حفزت على انبثاقه كحقل معرفي يشير إلى " استدارة النص النقدي على النص النقدي "[13] بالمراجعة والتحليل والتساؤل حول قضايا المنهج وآليات القراءة ومرجعياتها وإستراتيجيتها.

يمكن إرجاع البدايات الأولى لإرهاصات فكر نقد النقد في التراث الإنساني إلى التصور اليوناني القديم ، إذ تعد " نظرية أرسطو حول ماهية المحاكاة " [14] نوعا من نقد النقد التطبيقي، لأنها تتضمن تصورا فكريا يضمر فكرة إعادة القراءة والتجاوز التي تبناها أرسطو لإعادة قراءة رؤية المحاكاة بشكلها الآلي مثلما قدمها أستاذه أفلاطون، فأعاد قراءة تصورات أستاذه بشكل موضوعي عندما تبنى المحاكاة الفنية في مقابل المحاكاة الآلية، ورفض عالم المثل كما تبناه أستاذه أفلاطون وقبل بالواقع من منطلق أن المثل العليا عنده

ليست منفصلة عن الواقع المعيش، فعالم الحقيقة مرتبط " بالجانبين الحسي والذهني ويمكن بوساطة العقل إكمال النقص فيه الحاصل والمنهج المساعد على ذلك هو المنهج الاستقرائي عكس أفلاطون الذي تبنى المنهج التأملي.

وإن كان أفلاطون جعل المحاكاة تشمل كل شيء في الواقع فإن أرسطو حصرها في الفنون فقط، والمحاكاة عنده لا تعني النقل الحرفي بشكل آلي لما هو مجسد في الطبيعة وإنما بشكل فني بوساطة العقل " [15] ، فإذا أراد الرسام مثلا أن يرسم شكلا طبيعيا فيمكن له أن لا يتقيد بحاسة البصر فيصور حرفيا ما هو ماثل أمامه وإنما بإمكانه إكمال النقص الكامن بتوظيف العقل ليرسم صورة أجمل مما يرى حسب حسه الجمالي ، فالمنظور المثالي وفق هذا الفهم لا يتجسد وفق ما هو موجود وإنما وفق ما يجب أن يكون بفضل إدخال عنصر الاحتمال استثمارا للعقل.

أما في السياق النقدي العربي القديم فنجد ملامح نقد النقد كقراءة وصفية تحليلية تمت ولادته نصيا بعد مخاض تراثي نقدي طويل جسدته تلك الممارسات النقدية التطبيقية والقراءة المضافة لقراءة أخرى والأحكام النقدية الخلافية والمفاضلة بين النقاد والعيوب النقدية التي تعد مجتمعة تراكما معرفيا وإرهاصا فكريا لإستراتيجية قراءة نقد النقد حسب الرؤية المعاصرة ، وهي التصورات النقدية والبلاغية التي عبرت عن مفهومه بشكل ضمني باعتباره نشاطا فكريا يسعى إلى تعزيز أرضيته الفكرية الساعية لإنتاج معرفة خاصة بقراءة النقد الأدبي، وهو ما نجد ملامحه في المنجز النقدي العربي القديم، فقد مارس الناقد العرب القدامى وشراح النصوص الشعرية استراتيجيات قراءة نقد النقد " إما جزئيا كأن يعترض محلل أو شارح أو قارئ على من سبقه ليعارضه ويخالفه أو ليضيف إلى قراءته، أو يصحح مظهرا من مظاهرها ، وإما شموليا حيث نلفي كثيرا من قدماء الشراح وقرائهم يعمدون إلى عمل من القراءة سابق بجذاميره فيعيدون قراءته في ضوء من المعرفة الجديدة ، أو على نحو من الذوق المخالف " [16].

لقد حقق نقد النقد في مسار الفكر العربي القديم حضورا وممارسة نصية كإرهاصات نقدية تراثية ينقصها الوعي المعرفي بذاتها وباستراتيجياتها التحليلية. وهو التصور الذي وجد صداه في تصور الدكتور عبد السلام المسدي الذي تحدث عن ارتباط منهج نقد النقد الأدبي وآلية قراءته بالتجربة النقدية المعاصرة وتحوله إلى سمة بارزة ضمن سمات الوضع المعرفي الراهن، لكنه يشير بوضوح إلى وجود عينات نصية في النقد العربي القديم مبثوثة بين طيات هذا التراث النقدي تشير إلى ملامح قراءة نقد النقد حتى وإن كانت وفق شكلها التقليدي " [17]، وبالتالي لا يمكن نفي حضور المفهوم والممارسة في الفكر النقدي العربي القديم حضورا نصيا يشير. على الرغم من حداثة المصطلح. على وجود " إرهاصات وبوادر تراثية لنقد النقد من حيث دلالة المفهوم وطبيعة المادة المكونة له"[18]

يلاحظ المتأمل الاستقصائي لمنهج نقد النقد في السياق النقدي العربي القديم أن مبادئه وأسسه التحليلية قليلة في المدونة النقدية العربية التراثية بسبب قلة الكتب النقدية والمتون النصية المتخصصة التي تناولته وعبرت عنه بشكل صريح ومؤسس وفق وعيه النقدي المخصوص ، كما أن ما ورد في تلك الكتب والمدونات جاء عبارة عن أقوال نقدية مختزلة في أغلبها متتبعة موضوعه أو وظيفته أو علاقته بالنقد الأدبي لتداخل مباحثهما بشكل يصعب التفريق بينهما قديما، ومن هذا المنطلق فقد كان " تراثنا النقدي العربي وما يزالُ يتجاوبُ مع كل القراءات الحداثية والمعاصرة، ويرجع ذلك إلى ثرائه النقدي والإبداعي وتنوع سياقاته وأنساقه "[19]، وبالتالي يشير الحديث عن حضور منهج نقد النقد ومستويات تداوله في المتون النصية النقدية التراثية التي تناولته إلى تحقيق قدر معرفي مهم من التراكم النقدي والفكري الذي يعبر عنه ويكشف تجلياته، فوضوحه وبروزه ضمن الوضع المعرفي الراهن لا ينفي حضور المفهوم في الفكر النقدي القديم حضورا يشير على وجود إرهاصات نصية تراثية تعبر عن خصوصيته النقدية.

لقد أسهمت النزعة البلاغية والذوقية التي طغت على الدراسات النقدية القديمة في غياب أساس نقدي ومنهجي ومصطلحي لنقد النقد، لكن مع ذلك فإن عددا من الإشارات

النقدية التي لم تقتصر سمتها على استنباط الصنعة الشعرية والجمالية والأسلوبية بل تضمنت كذلك مراجعات لأقوال النقاد وآرائهم، وتقليب ناقد لكلام ناقد آخر والبحث في أصل أفكاره وقيمتها العلمية التي تدخل في باب الجدل النقدي الذي تطور ليصل لمحاولة تحديد مفهوم النقد الأدبي ودواعيه وقواعده وهو بالأساس مشغل نقد النقد ودعامته التي كرستها الرؤية النقدية التراثية ، كما ساهمت من جانب آخر الكتابات الفكرية والنقدية المتعقبة لكتابات أخرى في خلق مناخ جدلي تقويمي رسم بعض ملامح تجليات منهج نقد النقد في صيغته التراثية. وهو ما يفسر تأليف القدامى لكتب في الردود والمناظرات والمجادلات التي تناولت عددا من " الآراء النقدية بالتحليل والمناقشة الأمر الذي جعلها نماذج قراءة تدخل ضمن مجال نقد النقد ومقاصده " [20] ، وهي الرؤية التي تقترب من حيث المفهوم بالوعي المعرفي المعاصر لهذا الكيان النقدي الواصف .

في السياق ذاته فإن معاينة قراءات نقد النقد في التراث العربي وفق المنظور الابستيمولوجي تشير إلى أنه كيان فكري قديم تحيل إليه تلك القراءات النقدية والفكرية التراثية التي جاءت بصيغة المفاضلة بين النقاد وكشف سقطاتهم وعيوبهم النقدية، وهو ما تكشف ملامحه قراءة محمد مندور التي حاول من خلالها كشف طبيعة النقد المنهجي العربي القديم مركزا على النقد التراثي الذي " يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية "[21] ، حاول من خلالها توضيح مواصفات القراءة النقدية لعدد من النصوص النقدية التراثية التي تكشف أن الناقد العربي القديم قد مارس منهج نقد النقد وآليات قراءته بشكله الانطباعي دون معرفة بمصطلحه وقوانينه والحدود الفاصلة بينه وبين النقد الأدبي، وهو ما أدى إلى افتقار الوعي بمفهومه وبحدود مادته على الوجه الصريح الذي نعرفه به اليوم، فطبيعة هذه القراءة موجودة في المتون النقدية والبلاغية العربية القديمة، وقد دعت إليها عوامل فكرية ومرجعية حفزت الناقد العربي القديم على محاكمة غيره من النقاد ومجادلة النقاد أفكار بعضهم البعض والعمل على مراجعتها ومحاورتها وكشف هفواتها وعيوبها، فمنهج نقد النقد بشكله القديم تحقق وفق هذا التصور المعرفي في التراث النقدي العربي

مستندا إلى أساليبه ومنظومته المنهجية التراثية، وهو ما تدل عليه تلك المؤلفات النصية الشارحة لنظام الخطاب النقدي القديم، كأن " يعترض محلل أو شارح على من سبقه ليعارضه أو ليضيف إلى قراءته أو يصحح مظهرا من مظاهرها حيث نلفي كثيرا من قدامى الشراح يؤسسون قراءة على قراءة في ضوء من المعرفة الجديدة " [22]

يكتشف متتبع المسلك التاريخي لتجليات منهج نقد النقد التطبيقي ومقاصده أن القرن الرابع للهجرة يعد الفترة التاريخية التي ازدهرت فيها إرهاصات هذا المجال النقدي في الموروث النقدي القديم، إذ نجد عددا من الدراسات النقدية التي تعد من الإشارات التطبيقية الأولى لمنهج نقد النقد في التراث، مثل ما نجد ملامحه مبثوثة في كتاب الموازنة للآمدي[23]، وما عبرت عنه الأفكار النقدية التي تضمنها كتاب" الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني" [24] ، فقد كانت لهذا الوعي النقدي علاقة مفهومية ومعرفية بكثير من المواقف التراثية التي دارت حولها مناظرات العرب القدامى ـ أدباء ونقادا وبلاغيين ـ ومساجلاتهم النقدية والبلاغية ، الأمر الذي أدى إلى تأسيس جدال نقدي يقوم على مراجعة بعض الناقد لأقوال نقاد آخرين، وهو ما تجسد بشكل واضح مع ظهور عدد من الكتابات النقدية والبلاغية التي تدور حول " المحاورات والمجادلات الشفاهية وكتب الموازنات والوساطات والسرقات الأدبية" [25] .

لكن عندما نقارن هذا الوعي الفكري في المتون النصية النقدية التراثية بما آلت إليه هذه الظاهرة النقدية اليوم نلاحظ اتساع أفقها الفكري وتبلور الوعي بها مصطلحا ومفهوما ومنهجا، وهو ما يفسر النشاط المعرفي المبذول لأجل التعريف بهذا المجال النقدي والتأليف فيه انسجاما مع ظهور عدد من الاجتهادات النقدية والإبستيمولوجية التي هيأت لتأسيس رؤية منهجية شاملة بمقوماته ومسلماته ومراميه باعتباره شكلا خطابيا له استراتيجياته وخلفياته التي تفرقه عن النقد الأدبي وتجعله مختصا بمصطلحاته ومنهجه القائم على رؤية خاصة في مقاربة النقد الأدبي وتحليله، دون إنكار لتجلياته كإرهاصات لمنهجه في التراث النقدي والبلاغي العربي القديم.

3 ـ قراءات معاصرة لملامح نقد النقد في التراث العربي

تعد قراءة الناقد عبد العزيز قلقيلة في كتابه" نقد النقد في التراث العربي " [26] من المحاولات التأصيلية العربية المعاصرة التي اهتمت بالبحث عن الجذور التاريخية لنقد النقد في التراث النقدي العربي القديم مع أن الصورة النهائية للمفهوم عنده تركز إلى طبيعته الانطباعية القيمية التي جعلت ملامح وجوده النقدي لا تتجاوز ما تشير إليه « تلك الكتب النقدية التي ألفها أصحابها مفندين بها كتبا نقدية أخرى » [27]، فعندما ننظر في هذه المسألة النقدية ونبحث عن أثرها في النقد العربي القديم نجد أن تأمل المنجز النقدي القديم يكشف أن انشغال هذا المنجز التراثي بالجانب البياني والبلاغي واقتفاء أثر الجمال الفني في الأدب إضافة إلى تتبع القراءة النقدية المضافة لقراءة نقدية أخرى والمفاضلة بين النقاد القدامى قد حقق تراكما معرفيا يمكن عده إرهاصا فكريا لمنهج نقد النقد وإستراتيجية قراءته وفق الرؤية النقدية المعاصرة، فقد رافق منهج نقد النقد في صورته القديمة النقد الأدبي على مسار القراءة والتحليل والمعاينة.

يمكننا الاستدلال على هذه الحركة الفكرية بالتفاعل النقدي الذي وجد صداه في عدد من المتون النقدية التي تناولت بالتحليل والنقد كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير، وهي المتون النقدية التي تعد من الإرهاصات المعرفية لتجليات منهج نقد النقد في التراث التي وجدت عناية الناقد عبد العزيز قلقيلة الذي بحث عن هذه التجليات في المتن النقدي الذي درس تجربة ابن الأثير النقدية، فعاين قراءتين نقديتين تراثيتين تدخلان تحت مجال نقد النقد ومراميه وفق رؤيته المنهجية التقليدية، وهما قراءة عز الدين بن أبي حديد (الفلك الدائر على المثل السائر)، وقراءة صلاح الدين الصفدي (نصرة الثائر على المثل السائر) ، وقد تتبع من خلال هاتين القراءتين النقديتين كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير ليخرج من خلالهما بتصور معرفي له صلة نقدية بملامح تجليات نقد القد ومقاصده وفق المنظور المعاصر فقد تعاضد في كشف " تيه ابن الأثير وكثرة أخطائه وتبجحه بالعلم وإعجابه بنفسه وازدراء غيره "[28]،

وهو التصور الذي جعله يشير إلى أن هذا المجال النقدي " كانت له في المتن النقدي القديم أصول وقواعد مقدسة ومرعية عند المختلفين في الرأي "[29].

إن الحديث عن الآليات النقدية لدى ابن أبي الحديد بشكل خاص في كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) [30] أحدث في عصره موجة نقدية واسعة ويثير حراكا معرفيا كبيرا مستندا فيه إلى فكر نقد النقد ومنهجه بشكل واضح فتتبع من خلاله أخطاء ابن الأثير وعجبه، فقد حقق هذا المتن النقدي قيمة فكرية أضاءت كتاب المثل السائر لابن الأثير وعرفت به وكشف مثالبه النقدية وهفواته المنهجية، وبينت كذلك مدى تأثيره على الأدب العربي، كما أسهمت في إبراز قيمة ابن أبي حديد على الرد والنقض استثمارا للخلفية المعرفية التي قدمها منهج نقد النقد عند هذا الناقد التراثي الذي يعد من أعلام هذا المجال النقدي في الموروث النقدي ، فقد أخصبت رؤيته الفكرية كتب الردود والمعارضات النقدية بما قدمه من " قدرة جدالية وأساليب حجاج وبرهنة تعد بذرة نقدية لمجال نقد النقد" [31].

وبالتالي فان هذا الكتاب النقدي التراثي أفضى إلى تسجيل خلاصات نقدية مفادها أن نقد النقد الأدبي لديه لم يصدر عن منطلقات معرفية واهية، وإنما كانت له أصول وقواعد نقدية محددة انطلق منها ليسجل ثورة على ما هو سائد من التسليم بما قاله النقاد قبله، فكانت موضوعية هذا الناقد وتشكل ملامح خطاب نقد النقد في السياق النقدي التراثي متمثلة في الإنصاف النقدي الذي أولاه لابن الأثير في بعض ما ظهر في أفكاره من إتقان معرفي وتوخ موضوعي للحقيقة " [32] ،لكن بالرغم من ذلك فإن قراءته في بعض الأحايين كانت تتماهى مع الطبيعة الانطباعية للنقد القديم ، فلم يكن هذا الناقد مخلصا لنقد ابن الأثير بشكل موضوعي خالص، وإنما كانت تحركه بعض نزعات التحدي والمضاهاة لما رأه من استزادة ابن الأثير في الإعجاب بنفسه وازدراءه للآخرين مثلما أشار إليه عبد العزيز قلقيلة [33] ،أما الحديث عن المرتكزات المنهجية والآليات المعرفية التي تبناها للتحقيق قراءة نقد النقد وفق المنظور القديم، فتظهر في اهتمامه بهذا الكتاب والنظر فيه نظرة محقق وعالم بالصنعة النقدية وبارع بالعلوم البلاغية التي امتلك بها

مؤهلات معرفية أهلته لممارسة نقد النقد الأدبي وفق المنظور التراثي،فاستند ابن أبي حديد إلى آليات منهجية محددة هي " الاعتراض والمؤاخذات والحجاج ثم الاستدراك [34]، وهي آليات منهجية حققت بعض ملامح قراءة نقد النقد وفق الوعي التراثي العربي القديم.

في السياق ذاته تناول الدكتور كمال عبد العزيز إبراهيم في كتابه" نقد النقد رؤية في التنظير والمنهجية لدى القدماء بعد الشذرات النقدية التي تشير إلى إرهاصات نقد النقد التطبيقي ، كالفعل الذي " ينعكس به النقد على نفسه أو مستديرا إلى حضوره النوعي فيجعل من نفسه موضوعا للتأمل وفاعلا له على السواء [35] " فأشار على سبيل المثال لا الحصر إلى طبيعة التفكير النقدي عند ابن سلام الجمحي وإستراتيجيته في ترتيب الشعراء ومنه تقديم قراءة نقدية تناولت مقدمة المرزوقي لشرح الاختيار ركز فيها على " مآخذه النقدية وهناته المنهجية كإغفاله الإشارة إلى المصادر التي استقى منها مادته النقدية والأدبية وعدم دقة وصفه وتناقضه في بعض القضايا النقدية إضافة إلى غموض أسلوب كتابته مما يجهد القارئ ويتعبه"[36]

من جانب تحليلي آخر عاين هذا الناقد أيضا عددا من المسارات والقضايا النقدية التي تتبعت المآخذ الفكرية والمنهجية التي سجلت عند " ابن منظور " في معجمه " لسان العرب" حيث تمت الإشارة النقدية إلى هفواته اللغوية والمنهجية والفكرية كالخلط بين الأفكار وتكرارها وكثرة الاستطرادات والتفريعات اللغوية، ونقص تعاريف الشخصيات المستحضرة، وعدم نسب الأقوال الموظفة لقائليها ونسبها إلى المجهول في بعض الحالات إضافة لتداخل الأقوال المقدمة وتكرارها وقطعها في أحايين كثيرة " [37]، وهي القضايا النقدية التي يكتشف متأمل المسار النقد الأدبي القديم الذي قدم حول كتاب ابن منظور أنها تضمر بشكل واضح فكرة إعادة القراءة والشرح والتوضيح ومفهوم الانتقاد الذي أضحى مفهوما متداولا في صفوف النقاد القدامى، وهي القضايا التي وظفت فكريا لرصد لغة المعجم واستجلاء نسيج كتابته بالاستعانة بالنزعة التبريرية التي جعلت هذه القراءة تتقاطع معرفيا مع طبيعة قراءة نقد النقد وفق المنظور النقدي المعاصر .

وبالتالي تكشف التصورات النقدية السابقة أن القراءة المضافة إلى قراءة أخرى، قد حققت في النقد العربي القديم تراكما فكريا نوعيا يمكن عده من بوادر قراءة نقد النقد التطبيقي في الموروث النقدي العربي القديم، بل لقد ترافق النقد الأدبي ونقد النقد التطبيقي في صورتهما القديمة وتداخلا فعندما ننظر" في اتجاهي الدراسات البلاغية والنقدية القديمة إلى العرض والتاريخ أو إلى اقتفاء أثر الجمال الفني ، نقف على ما رافقها من محاولات في تصنيف الشعراء وترتيبهم، وفي تبويب معايير الجودة والسبق والمفاضلة بينهم مما اختلف حوله المختلفون مقارنة ومفاضلة وتعليقا وحكما، وهي محاولات تتقاطع في بعض جوانبها الفكرية مع قراءة نقد النقد خاصة عندما اثرى ناقد النقد القديم رؤيته التحليلية للنصوص النقدية بوجهة تعليلية نتيجة التأثر بالفكر الفلسفي ومسلكه العقلاني الإقناعي خاصة مع تصورات " المعتزلة وتأثيرهم على مسارات النقد العربي القديم من حيث مفهومه ودواعيه والقواعد المنظمة له" [38] . وهي التصورات التي نعرفها اليوم برؤية قراءة نقد النقد الأدبي وقضاياه .

خاتمة

لقد خلصت هذه الدراسة أن تتبع مسار تطور الخطاب النقدي العربي القديم عبر مراحله وتحولاته يكتشف حضورا تطبيقيا لمفهوم نقد النقد ومقاصده في الممارسة النقدية التراثية، وهو ما تشير إليه تلك المنجزات التطبيقية لقضاياه وآلياته بصيغتها التقليدية دون أن تدرج هذه القراءات تحت عنوان مصطلح نقد النقد الذي ارتبط بالمنجز النقدي المعاصر، كما أن معالجة إشكالية ملامح وجود هذا الخطاب النقدي في الموروث العربي القديم فرضت خلق صلة جدلية ربطت بين الوعي النظري لفلسفة قراءة نقد النقد وطبيعة الممارسة النقدية التطبيقية لها وفق المنظور التراثي، وهو ما كشف أن التراث العربي تضمن إرهاصات نقدية وفكرية تتقاطع مع طبيعة قراءة نقد النقد وفق الوعي النقدي المعاصر، وهو ما تكشفه الدراسات البلاغية والنقدية وما واكبها من صراعات

نقدية وجدالية وخلاف فكري أثرى الساحة النقدية التراثية بمواقف معرفية تستحق العناية والمتابعة في مجال نقد النقد وفق الوعي الفكري التراثي.

الإحالات:

1) . حميد لحمداني: سحر الموضوع. (عن النقد الموضوعاتي في الشعر والرواية).دار سال ،ط1،المغرب ..1990. ص 7
2) . نجوى الرياحي القسنطيني. في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مقال بمجلة عالم الفكر الكويت، ع 1، م 38 ،2009 ، ص 35
3) . أحمد بوحسن، المصطلح ونقد النقد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب 1991، ص 289
4) . كمال عبد العزيز ابراهيم : نقد النقد رؤية في التنظير والمنهجية لدى القدماء. ط1.القاهرة . مصر. مكتبة الآداب. 2010 . ص 3
5) . عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد. الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع. 2010 . ص 227 -228
6) ـ خالد بن محمد بن خلفان السيابي: نقد النقد في التراث العربي. ط1. الأردن. دار جرير للنشر والتوزيع.2010 ص14
7) . جميل حمداوي: من الإبداع الروائي إلى نقد النقد . منشورات الزمن . المغرب . 2009 . ص 7
8) .جابر عصفور: قراءة التراث النقدي.. مصر. مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ط1. 1991. ص11
9) . نجوى الرياحي القسنطيني، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره. ص 35
10) . المرجع نفسه. ص 37
11) . باقر جاسم محمد : نقد النقد أم الميتانقد(محاولة في تأصيل المفهوم). مجلة عالم الفكر الكويت.ع 3 . م 37 . 2009 . ص 118
12) . محمد مريني: نقد النقد في المفهوم والمقاربة المنهجية . مقال بمجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، السعودية .ج 64 . م 16. 2008 . ص41
13) . نجوى الرياحي القسنطيني، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره. ص 50 .
14) . أرسطو طاليس: فن الشعر.تر.عبد الرحمان بدوي. مصر، مكتبة النهضة المصرية. 1953. ص 49.
15) . ك م نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، تر عيسى على العاكوب عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر، ط1، 1996 ، ص88
16) . عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة . دار الغرب للنشر والتوزيع . وهران، الجزائر. 2003 . ص 31 . 32
17) . عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي ، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994، ص73.
18) . نجوى الرياحي القسنطيني: في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره. ص 43.
19) . المرجع نفسه. ص 43.
20) . خالد بن محمد بن خلفان السيابي :نقد النقد في التراث العربي . ص23

21) . محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب. مصر. دار نهضة مصر للطباعة والنشر. 1996، ص 5
22) . عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة.. ص31. 32
23) . الآمدي، الموازنة ، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 1961
24) . علي بن عبد العزيز الجرجاني ،الوساطة بين المتنبي وخصومه، ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1966
25) . نجوى الرياحي القسنطيني: في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره. ص 44.
26) . عبد العزيز قلقيلة: نقد النقد في التراث العربي. ط1. مصر. منشورات مكتبة الأنجلو المصرية. 1975.
27) . المرجع نفسه. ص 9.
28) . المرجع نفسه. ص15.
29) . عبد العزيز قلقيلة . نقد النقد في التراث العربي ، ص 148
30) . عز الدين ابن أبي حديد: الفلك الدائر على المثل السائر. تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة دار النهضة. مصر. د ت.
31) . خالد بن محمد بن خلفان السيابي: نقد النقد في التراث العربي. ص 129
32) .هشام بن حميدان وبنعيسى النية، صناعة نقد النقد في القرن السابع الهجري(الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي حديد أنموذجا) ، مجلة جسور المعرفة ، جامعة الشلف، العدد10 جوان 2017، ص146.
33) . عبد العزيز قلقيلة: نقد النقد في التراث العربي، ص15
34) .هشام بن حميدان وبنعيسى النية، صناعة نقد النقد في القرن السابع الهجري(الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي حديد أنموذجا) ، ص145.
35) . محمد الغزي، محمد لطفي اليوسفي في مرآة النقد، مقال بمجلة نزوى، سلطنة عمان، ع66، 2011 ، ص281
36) . كمال عبد العزيز ابراهيم : نقد النقد رؤية في التنظير والمنهجية لدى القدماء. ط1.القاهرة . مصر. مكتبة الآداب. 2010، ص124/122.
37) . المرجع نفسه، ص180.
38) . نجوى الرياحي القسنطيني: في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره. ص43- 44.